

# شجرة الكون

تأليف

الشيخ الأكبر سيد محي الدين بن العربي

رضي الله تعالى عنه آمين

وبليها:

حكاية إبليس

بما أخبر به النبي المعظم، صلى الله عليه وآله وسلم

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

# شجرة الكون

تأليف

الشيخ الأكبر سيدى محي الدين بن العربي

رضي الله تعالى عنه آمين

تأليف الشيخ الأكبر

٨٨٦١ هـ - ٨٢٦١ هـ

ويليها :

حكاية إبليس

بما أخبر به النبي المصطفى ، صلى الله عليه وآله وسلم



ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ  
(قرآن کریم)

## بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الأحدي الذات ، الفردى الصفات ، الذى تقدم وجهه من  
الجهات ، وقدمه عن المحدثات ، وقدمه عن الجهات ، ويده عن الحركات ،  
وعينه عن اللحظات ، واستواؤه عن الانصالات ، وقدرته عن المفوات ، وإرادته  
عن الشهوات ، الذى لا تعدد لصفاته بعدد الموصوفات ، ولا تختلف إرادته  
باختلاف المرادات ، وكون بكلمة ( كن ) جميع الكائنات ، وأوجد بها جميع  
الموجودات ، فلا موجود إلا مستخرج من كنهها المكنون ، ولا مكنون  
إلا مستخرج من مرها المصون ، قال الله تعالى - إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن  
نقول له كن فيكون - :

وبعد : فإننى نظرت إلى الكون وتكوينه ، وإلى المكنون وتكوينه ،  
فرايت الكون كله شجرة وأصل نورها من حبة كن قد لقحت كاف الكونية بلباق  
حبة : - نحن خلقناكم - فانعقد من ذلك البذر ثمرة - إنا كل شيء خلقناه بقدر - ؛  
وظهر من هذا غصنان مختلفان أصلها واحد ، وهو الإرادة وفرعها القدرة ، فظهر  
عن جوهر الكاف معنيان مختلفان كاف الكمالية - اليوم أكملت لكم دينكم - ، وكاف  
الكفرية - فمنهم من آمن ومنهم من كفر - وظهر جوهر النون نون النكرة ونون  
المعرفة ، فلما أبرزهم من كنّ العدم على حكم مراد القدم رشح عليهم من نوره ،  
فأما من أصابه ذلك النور فحدق إلى تمثال شجرة الكون المستخرجة من حبة كن  
فلاح له في سر كافها تمثال - كنتم خير أمة - واتضح له في شرح نونها - أفن شرح  
الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه - وأما من أخطأ ذلك النور فطولب  
بكشف المعنى المقصود من حرف كن فإنه غلط في هجائه وخاب في رجائه فنظر  
إلى مثال كن فظن أنها كاف كفرية بنون نكرة فكان من الكافرين وكان حظ  
كل مخلوق من كلمة كن ما علم من هجاء حروفها وما شهد من سر أثر خفائها دليله

الطبعة الأخيرة

١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م



قوله صلى الله عليه وسلم «إن الله خلق خلقه في ظلمة ثم رشح عليهم من نوره» أصابه ذلك النور اهتدى ، ومن أخطأه ذلك النور ضل وغوى ، فلما نظر آدم إلى دائرة الوجود فوجد كل موجود دائرا في دائرة الكون واحد من نار وواحد من طين ، ثم رأى هذه الدائرة على سرائر كنه فكيفما دار واستدار وحيثما طار واستطار فإليها يثول وعليها يحول ولا يزول عنها ولا يحول ، فواحد شهد كاف الكمالية ونون المعرفة ، وواحد شهد كاف الكفرية ونون النكرة فهو على حكم ما شهد راجع إلى نقطة دائرة كنه ، وليس للمكون أن يجاوز ما أراده المكون ، فإذا نظرت إلى اختلاف أغصان شجرة الكون ونوع ثمارها علمت أن أصل ذلك ناشئ من حبة كنه بائن عنها ، فلما أدخل آدم في مكتب التعليم وعلم الأسماء كلها نظر إلى مثال كنه ونظر إلى مراد المكون من المكون فشهد المعلم من كاف كنه كاف الكفرية وكنت كنه مختفيا لا أعرف فأحببت أن أعرف ، فنظر من سر النون لون الأناية - إنني أنا لا إله إلا أنا - الآية ، فلما صبح الهجاء وحقق الرجاء استنبط له من كاف الكفرية كاف التكريم - ولقد كرمتنا بني آدم - وكاف الكنتية - كنت له سمعا وبصرا ويدا ، واستخرج له من نون الأناية نون النورية - وجعلنا له نورا - واتصلت بها نون النعمة ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها - وأما إبليس لعنه الله فإنه مكث في مكتب التعليم أربعين ألف عام ينصفح حروف كنه وقد وكله المعلم إلى نفسه وأحاله على حوله وقوته ، فكان ينظر إلى تمثال كنه ليشهد من تمثالها كاف كنه فكبر - فأبى واستكبر - ويشهد من نونها نون ناريتها - خلقتني من نار - فاتصلت كاف كفرية بنون ناريتها - فككبوا فيها - فلما نظر آدم إلى اختلاف هذه الشجرة وتنوع أزهارها وثمارها فتثبت بغصن - إني أنا الله - فنودي : كل من ثمار التوحيد واستظل بظل التفريد - ولا تقربا - فأراد إبليس أن يوصله بغصن - فوسوس لما فأكل منها - فزلقا في مزلق - وعصى - واستمسك بغصن - ربنا ظلمنا أنفسنا - فتدلت عليه ثمار - فتلقى - فلما نودي يوم الإشهاد ، على رموس الشهاد - ألسنت بربكم فشهد كل على مقدار ما شهد وسمع ، ثم اتفق الكل في الإيجاب ، فقالوا - بلى - لكن الاختلاف وقع من حيث الإشهاد ، فمن أشهده جمالية ذاته شهد أنه - ليس كمثل شيء - ومن أشهده جمالية صفاته شهد : أنه - لا إله إلا هو الملك القدوس - ومن أشهده عرائس

مخلوقاته اختلفت ثماداتهم لاختلاف المشهود فقوم جعلوه محدودا ، وقوم جعلوه معدوما وقوم جعلوه حجرا جليودا ، والكل في ذلك على حكم - قل إن يصيبنا - وهو مستبطن في سر كلمة كنه ، دائر على نقطة دائرتها ثابت على أصل حبتها ، فلما كانت هذه الحبة بزر شجرة الكون وبرز ثمرتها ومعنى صورتها ، أحببت أن أجعل للمكون مثالا وللوجود تمثالا ، ولما ينبج فيه من الأقوال والأفعال والأحوال منوالا ، فثلث شجرة نبئت عن أصل حبة كنه ، وكل ما يحدث في الكون من الحوادث كالنقص والزيادة والغيب والشهادة والكفر والإيمان وما تشر من الأعمال وزكاة الأحوال ، وما يظهر من أزهير القول والنوق والدوق ولطائف المعارف ، وما تورق به من قربات المقربين ومقامات المتقين ، ومنازلات الصديقين ، ومناجاة العارفين ، ومشاهدات المحبين ، كل ذلك من ثمرها الذي أثمرته وطلعها الذي أطلعته ، فأول ما أنبت هذه الشجرة التي هي حبة كنه ثلاثة أغصان أخذ غصن منها ذات البين فهم أصحاب اليمين ، وأخذ غصن منها ذات الشمال ، ونبت غصن منها معتدل القامة على سبيل الاستقامة ، فكان منه السابقون المقربون ، فلما ثبت واستعلى جاء من فرعها الأعلى وجاء من فرعها الأدنى عالم الصورة والمعنى ، فما كان من قشورها الظاهرة وستورها الباردة فهو عالم الملك ، وما كان من قلوبها الباطنة ولباب معانيها الخفية فهو عالم الملكوت ، وما كان من الماء الجاري في شريانات عروقها الذي حصل به نموها وحياتها ونموها ، وبه طلعت أزهارها ، وأينعت ثمارها فهو عالم الجبروت الذي هو سر كلمة كنه ، ثم أحاط بالشجرة حائط واحد لها حدود ورسم طارسوم ، فحدودها الجهات ومن : العلو والسفل واليمين والشمال ووراء وأمام ، فما كان أعلى فهو حدها الأعلى وما كان أسفل فهو حدها الأسفل - وأما رسومها وما فيها من الأفلاك والأجرام والأملك والأحكام والآثار والأعلام ، فجعل السبع الطباق بمنزلة ما يستظل به من الأوراق ، وجعل الكواكب في الإشراق بمنزلة الأزهار في الآفاق ، وجعل الليل والنهار بمنزلة رداءين مختلفين : أحدهما أسود يرتدى به ليحتجب عن الأبصار ، والآخر أبيض يرتدى به ليتجلى على ذوات الاستبصار ، وجعل العرش بمنزلة بيت مال هذه الشجرة وخزانة سلاحها ، فنه يستمد ما فيه صلاحها ، وفيه سوا من هذه الشجرة ومحلها - وترى الملائكة حافين من حول العرش - إليه يقو جهون ، وعليه



يعولون، وحوله يحومون، وبه يطوفون، وحيثما كانوا فإليه يشيرون، فتنى حدث  
في هذه الشجرة حادثة أو نزل بشيء منها نازلة رفعا أيدي المستئلة والتضرع إلى جهة  
عرشه يطلبون الشفا ويستعفون عن الخطأ، لأن موجد هذه الشجرة لاجهة إليه  
يشار إليها، ولا أيانية له يقصدونها، ولا كيفية له يعرفونها، فلو لم يكن العرش جهة  
يتوجهون إليه للقيام بخدمته، ولأداء طاعته لفضلوا في طلبهم، فهو سبحانه وتعالى  
إنما أوجد العرش لإظهار القدرته لأعلا لذاته، وأوجد الوجود للحاجة له به وإنما  
هو إظهار لأسمائه وصفاته، فإن من أسمائه الغفور، ومن صفاته المغفرة، ومن أسمائه  
الرحيم، ومن صفاته الرحمة، ومن أسمائه الكريم، ومن صفاته الكرم، فاختلقت  
أغصان هذه الشجرة وتنوعت ثمارها ليظهر سر مغفرته للمذنب، ورحمته للمحسن،  
وفضله للطائع، وعدله للعاصي، ونعمته للمؤمن، ونقمته على الكافر، فهو مقدس  
في وجوده عن ملامسة ما أوجده ومجاوبته ومواصلته ومفاصلته، لأنه كان ولا يكون  
وهو الآن كما كان لا يتصل بكون ولا ينفصل عن كون لأن للوصل والفصل من صفات  
الحدوث لا من صفات القدم لأن الاتصال والانفصال يلزم منه الانتقال والارتحال  
ويلزم من الانتقال والارتحال التحول والزوال والتغيير والاستبدال، هذا كله من  
صفات النقص لا من صفات الكمال، فسبحانه سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون  
والجاحدون علوا كبيرا، ثم جعل اللوح والقلم بمنزلة كتاب الملك وما يسطر فيه من  
أحكامه وما حكم ينقضه وإبرامه وإيجاده وإعدامه وما يخرج من بره وإنعامه  
وما يكون من ثوابه وانتقامه، ثم جعل سدرة المنتهى بمنزلة غصن من أغصان هذه  
الشجرة يقوم تحتها من يقوم بخدمته وينفذ أحكامه ويرفع إليه ما يحمل من ثمرة  
هذه الشجرة وما يدانيها، ثم يتلقى هناك من نسخة كتاب الملك الذي هو اللوح  
المحفوظ، وما يحدث في هذه الشجرة من محو وإثبات ونقص وزيادة فلا يتجاوز ذلك  
الشجرة، إذ لكل واحد منهم حد مفهوم، وحظ مقسوم، ورسم مرسوم، وما  
إلا له مقام معلوم ولا يرفع شيء من ثمرة هذه الشجرة من دنى أو منى، أو صغير  
أو كبير، أو جليل أو حقير، أو قليل أو كثير، إلا ختم عليه في كتاب لا يغادر  
صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. ثم يأمرهم الملك أن يدفعوا إلى إحدى خزانتيه اللتين  
ادخرهما ثمرة هذه الشجرة وهما الجنة والنار، فما كان من ثمرة طيب ففي خزانة الجنة

- كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين - وما كان من ثمرة خبيث ففي خزانة النار - كلا إن  
كتاب الفجار لفي سجين - فأما الجنة فدار أصحاب اليمين من جانب الطور الأيمن من  
الشجرة المباركة الطيبة، وأما النار فدار أصحاب الشمال من الشجرة الملعونة في القرآن  
ثم جعل الدنيا مستودع زهرتها والآخرة مستقر ثمرتها وأحاط على هذه الشجرة حائط  
ما يريده، فلما ثبت أصل هذه الشجرة وثبت فرعها التي طرفها ولحق آخرها بأولها  
- إلى ربك منهاها - إلى مبتدأها، لأن من كان أوله كن كان آخره يكون فهي وإن  
تعددت فروعها وتنوعت زروعها فأصلها واحد فهي حبة كلمة كن وسيكون آخرها  
واحد وهي كلمة كن، فلو أهدقت ببصر بصيرتك لرأيت أغصان شجرة طوبى معلقة  
بأغصان شجرة الزقوم، وبرد نسيم القرب بمازج حر السموم، وظل سماء الوصل  
متصل بظل من يحموم، وقد تناول كل حظه المقسوم فواحد يشرب بكأسه المختوم  
وواحد يشرب بكأسه المختوم، وواحد من بينهم محروم، فلما برزت أطفال الوجود  
من حضرة العدم هبت عليهم نسيمات القدرة، وغذتها لطائف الحكمة، وأمطرتها  
بمحابب الإرادة بعجائب الصنع، فأثبت كل غصن منها ما سبق له في القدم، وركب  
في عنصره من الصحة والسقم، والكون كله من عنصرين مستخرجين من جزءين  
من كلمة كن، وهما : الظلمة والنور، فالخير كله من النور، والشر كله من الظلمة،  
فلأ الملائكة موجود من عنصر النور، فكاف منهم الخير - لا يعصون الله ما أمرهم -  
وملأ الشياطين من عنصر الظلمة فكان منهم الشر، وأما آدم وبنوه فلأنهم جعلت  
طينتهم من الظلمة والنور، وركب عنصره من الخير والشر والنفع والضر، وجعلت  
ذاته إقابلة للمعرفة والنكرة، فأى جوهر غلب عليه نسب إليه، فإن علا جوهر نوره  
على جوهر الظلمة وظهرت روحانيته على جسمانيته، فقد فضل على الملك وعلا على  
الفلك، وإن غلب جوهر ظلمته على جوهر نوره وظهرت جسمانيته على روحانيته،  
فقد فضل على الشيطان، فلما قبض الله آدم من قهضة تراب كن مسح على ظهره  
- حتى يميز الخبيث من الطيب - فاستخرج من ظهره من كان من أصحاب اليمين،  
فأخذوا ذات اليمين، واستخرج من ظهره من كان من أصحاب الشمال، فأخذوا  
ذات الشمال، وما زاغ أحد عن المراد وما مال، ومن قال لم؟ فقد أخطأ في السؤال



فأول من عمل حوالى هذه الشجرة إلى أصل حبة كن فاعتصر صفوة عنصرها  
ومخضها حتى بدت زبدتها، ثم صفها بمصفاة الصفوة حتى زال ونحها، ثم ألقى عليها  
من نور هدايته حتى ظهر جوهرها. ثم غمسها في بحر الرحمة حتى صمت بركتها،  
ثم خلق منها نور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ثم زين بنور الملا الأعلى حتى أضاء  
وعلا، ثم جعل ذلك النور أصلا لكل نور، فهو أولهم في المسطور، وآخرهم في  
الظهور، وقائدهم في النشور، ومبشرهم بالسرور، ومتوجههم بالحبور، فهو مستودع  
في ديوان الأنس مستقر في رياض الأنس وحضرة الأنس، ستر معنى روحانيته بستر  
جسمانيته، وغطى عالم شهوده بعالم وجوده، فهو مستخرج في الكون مستنبت لأجله  
الكون، وذلك أن الله تعالى كوّن الأكوان اقتدارا عليها لا افتقار إليها، وكما حكته  
في التكوين لإظهار شرف الماء والطين، فإنه أوجد ما أوجد ولم يقل في شيء من ذلك:  
- إني جاعل في الأرض خليفة - وكان وجود الآدمي فكانت حكمته في وجود الآدمي  
لإظهار شرف النبي صلى الله عليه وسلم لأنه حكمة الأجساد لاستخراج كاف الكنزية  
«كنت كنزا مخفيا لا أعرف» فكان المقصود في الوجود معرفة موجدهم سبحانه،  
وكان المخصوص بأنهم المعارف قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، لأن معارف  
الكل كانت تصديقا وإيمانا ومعرفة صلى الله عليه وسلم مشاهدة وعيانا، وبنور  
معرفة صلى الله عليه وسلم تعرفوا، وبفضله عليهم اعترفوا فاستخرجهم من لباب حبة كن  
- كزرع أخرج شطأه فآزره - بصحبته - فاستغلظ - بقرابته - فاستوى على سوقه -  
بصحبة ذوقه وقوة توقه وشوقه، فلما ظهر هذا الغصن المسمى وسما أوراق عوده  
ونما وانهل عليه سحاب القبول وهي، وتباشر بظهوره الحدثان وبشر بوجوده  
الثقلان وتعطرت بقدمه الأكوان، وانكست بمولده الأوثان، ونسخت ببعثه  
الاديان، ونزل بتصديقه القرآن، واهتزت طريبا شجرة الأكوان، وتحرك ما فيها من  
الألوان والعبدان، وكان من أغصان هذه الشجرة من أخذ ذات الشمال ومال يهوى  
الضلال، فلما أرسلت رياح الإرسال برسالته وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - استنشقاها  
من سبقت لهم منا الحسنى قال إليها متعطفًا، وأما من كان منكوما، أو من خلع  
القبول محروما فإنه عصفت به عواصف القدرة فأصبح بعد نصارته يابسا، ووجهه  
سعادته هابسا وراج من رجاء فلاحه قانطا آيسا، وكان سر هذا الغصن لقاح شجرة

الجود ودرة صدفه الوجود، وكان من روح روحانيته روح - يأيها النبي إنا أرسلناك  
شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا - فهو مصباح ظلمة الكون  
وروح جسد الوجود، لأن الله تعالى لما خاطب السموات والأرض، وقال لهما - انثيا  
طوعا أو كرها قلنا أتينا طائعين - فأجابه موضع الكعبة من الأرض ومن السماء  
ما يحاذيه، فكانت تربة بقعة الكعبة، وكان محل الإيمان من الأرض، فلما أمر  
الله بالقبضة التي قبضت من الأرض لخلق آدم عليه السلام، فقبضت من سائر  
الأرض من طيبها وخبيثها، فكانت طينة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مخلوقة من  
موضع الكعبة التي هي محل الإيمان بالله تعالى، ثم عجن تلك الطينة بطينة آدم  
عليه السلام، فكانت تلك الطينة بمنزلة الحميرة، ولولا ذلك لما أطاقوا الإجابة يوم  
الإشهاد، وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم «كنت ليا و آدم بين الماء والطين»  
فكانت ذوات الوجود وبركته من ذرة وجوده، فلما أشهدهم على أنفسهم في  
حضرة شهوده قال - ألسن بربكم قالوا بلى - فصرت في أجزاء ذراتهم تلك الحميرة  
النبوية فانطلقت بإذن الله تعالى ألسنتهم بالتلبية قائلة فمن كانت طينته قابلة للتخمير  
بما سبق في التقدير بقي معه ذلك التخمير باقيا فيه مستصحبا حتى ظهر إلى الحسن وظهر  
في تلك الصورة فبرز ذلك المعنى محققا لتلك الدعوى، فأشرق نور ذلك المعنى الروحاني  
على ما يحاذيه من الجسد الجسماني، فأشرق الجسد بعد ظلمته فاستنارت الجوارح  
لرشدتها فعملت بالطاعة، وأما من كانت طينته خبيثة غير قابلة للتخمير وإنما أثرت  
تلك الحميرة مقدار ما اعترف عند الإشهاد، وأفصححت في ذلك الإقرار في حال  
الاستقرار، ثم طال عليها الأمد ففسدت تلك الحميرة بفساد تلك الطينة، فكانه  
كان مستودعا فاسترجع منه ما استودع إذ لم يكن لحفظها أهلا فهو مستودع أعني  
الإيمان في قلوب الكافرين مستقر في قلوب المؤمنين، وهو معنى قوله صلى الله  
عليه وسلم «كل مولود يولد على الفطرة» التي فطر الله الناس عليها، وهو تساويهم في  
الإيمان في قول - ألسن بربكم قالوا بلى - واستنوا في التلبية ونطقوا بالإجابة  
لسريان تلك الحميرة النبوية في أجزاء ذراتهم، وقد سبق في علم الله تعالى ونفذ  
تقديره، فمن تبقى على ذلك الإقرار لا يستحيل إلى الجحود والإنكار، وكل ما يحدث  
في شجرة الكون من نمو وزيادة وأزهار وأثمار أفكار ومتشابه شوق ومحكم ذوق



وصفاء أسرار ونسيم استغفار وما ينمو به من الأعمال وتزكو به الأحوال وماتورق  
من رياضات النفوس، ومناجاة القلوب، ومنازلات الأسرار، ومشاهدات الأرواح  
وما ينبت به من أزاهير الحكم، ولطائف المعارف، وما يصعد من طيب الأنفاس  
وما يعقد من ورق الإيناس، وما ينشأ من رياح الارتياح وما ينفى على أصلها من  
مراتب أهل الاختصاص، ومقامات الخواص، ومنازلات الصديقين، ومناجاة  
المقربين، ومشاهدات المحبين، كل ذلك من لقاح الغصن المحمدي، متوقفاً  
نوره، مستمد من نماء نهر كوثره، مغزى بلباب برّه، مربى في مهد هدايته  
فلذلك همت بركاته، وتمت على الخلائق رحمته - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين  
فلما مهد لأجله الدار، وسخر من أجله الليل والنهار، ورسم الرسوم وحدد  
الأقطار ونوّه بذكره ونبه على سره وقدره، وأخذ الميثاق على تصديقه والتمسك بحبل  
تحقيقه جلا عروس شريعته على أتباعه وشيعته، ثم ختم بنبوته الأنبياء وبكتابه  
الكتب وبرسالته الرسل، فن احتفى بحمى شريعته سلم، ومن استمسك بحبل  
ملته عصم. لما توسل به آدم عليه السلام سلم من الملام، ولما انتقل إلى صليب  
إبراهيم الخليل صارت النار عليه برداً وسلاماً، ولما أودعته صدفة إسماعيل فدى  
بذبح عظيم، فثمره غصن أصحاب اليمين - يحبهم ويحبونه - وثمره غصن أصحاب الشمال  
- وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم - وثمره غصن السابقين المقربين - محمد رسول الله  
والذين معه أشدّاء على الكفار رحماء بينهم - فبركته على الآفاق قد عمت، وكلمته  
قد تمت، خلق آدم على صورة اسمه لأن اسمه محمد، فرأس آدم دائرة بندورة  
على صورة الميم الأولى من اسمه وإرسال يده مع جنبه على صورة الحاء وبطنه على  
صورة الميم الثانية ورجلاه في انفتاحهما على صورة الدال، فكمل خلق آدم على  
صورة اسم محمد صلى الله عليه وسلم، وقولنا كون الأكوان على هيئة رسمه لأن  
العالم عالمان عالم الملك وعالم الملكوت، فعالم الملك كعالم جسمانيته، وعالم الملكوت  
كعالم روحانيته فكثيف العالم السفلي ككثيف جسمانيته ولطيف العالم العلوي  
كلطيف روحانيته، فما في الأرض من الجبال التي جعلت في الأرض أو تادفها  
بمنزلة جهال هظامه التي جعلت أو تاد جسده، وما فيها من بحار مسجورة جارية

وغير جارية هذبة وغير عذبة فهي بمنزلة مافي جسده من دم جار في تيار العروق  
وساكن في جداول الأعضاء واختلاف أذواقها، فمنها ما هو عذب وهو ما الريق  
يطيب بعجينه المأكول والمشارب، ومنها ما هو مالح وهو ماء العين بحفظه شحمة  
العين، ومنها ما هو مرّ وهو ماء الأذن لصيانة الأذن من حيوان ودبيب يصل إليها  
فيقتله ذلك الماء، ثم في أرض جسده ما ينبت كالأرض الجرز والأرض السبخة التي  
لا تنبت ويستحيل النبت فيها، ثم لما كان في الأرض بحار عظيمة تتفرع منها أنهار  
وسواق لنفع الناس بها كذلك في أرض جسده عروق غلاظ كالوتين الذي يبت  
الدم وتستمد العروق منه إلى سائر الجسد ثم العالم العلوي وهو عالم السماء جعل الله  
فيه شمساً كالسراج يستضيء به أهل الأرض، كذلك جعلت الروح في الجسد يستضيء  
بها الجسد، فلو غابت بالموث لأظلم الجسد كظلمة الأرض إذا غابت عنها الشمس،  
ثم جعل العقل بمنزلة القمر يستنير في فلك السماء تارة يزيد وتارة ينقص، فابتداءه  
صغير وهو لال كابتداء عقل الصغير في صغره ثم يزيد كزيادة القمر ليلة تمامه ثم  
يبدو بالنقص فهو بمنزلة بلوغ الأجل إلى تمام الأربعين ثم يعود في النقص في تركيبه  
وقوته، ثم جعل في السماء كواكب خمس وهي الخمس الخمس - الجوارى الكمنس - وهي  
بمنزلة الخواص الخمس وهي الذوق والشم واللمس والسمع والبصر، ثم جعل في عالم  
السماء عرشاً وكرسياً، فالعرش أوجده وجعل وجهة قلوب عباده إليه ومحل رفع الأيدي  
إليه لا محلاً لذاته ولا مجانساً لصفاته لأن الرحمن تعالى اسمه الاستواء نعتة وصفته،  
ونعته وصفته متصلة بذاته، والعرش خلق من خلقه لا متصل به ولا ملامس له  
ولا محمول عليه ولا مفتقر إليه، وأما الكرسي فهو وعاء أسرارته وكنانة أنواره  
ومستودع مافي دائرة - وصع كرسية السموات والأرض - فجعل الصدر بمنزلة الكرسي  
لأن فيه تحصيل العلوم الصادرة بمنزلة الساحة على باب القلب والنفس بشرع منه  
بابان إليهما، فما صدر عن القلب من خير أو عن النفس من شر فهو محصل في  
الصدر وعنه يصدر إلى الجوارح وهو معنى قوله تعالى - وحصل مافي الصدور -  
وجعل القلب بمنزلة العرش لأن عرشه في السماء معروف وعرشه في الأرض مسكون  
لأن عرش القلوب أفضل من عرش السماء لأن ذلك العرش لا يسعه ولا يحمله ولا  
يلزكه وهذا عرش في كل حين ينظر إليه ويتجلى عليه وينزل من سما كرمه إليه



« ما وسعني سمواتي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن » ولما جعل في عالم الآخرة جنة ونارا للنعيم والعذاب هذه خزانة الخير وهذه خزانة الشر ، كذلك جعل الخير الذي هو مكان سويداء القلب جعله جنة عبده المؤمن لأنه محل المشاهدة والتجلى والمناجاة والمنازلات ومنبع الأنوار ، وجعل النفس بمنزلة النار لأنها منبع الشر ومحل الوسواس وربيع الشيطان ومحل الظلمة ، ثم جعل اللوح والقلم نسخة كتاب الكون والتكوين وما كان وما يكون إلى يوم الدين ، وجعل الملائكة تستنسخ ما يؤمرون بنسخه من محو وإثبات وموت وحياة ونقص وزيادة فكذا اللسان بمنزلة القلم والصدر بمنزلة اللوح ، فما نطق به اللسان رفته الأذهان في ألواح الصدور ، وما أرخته إرادة القلب إلى الصدر عبر عنه اللسان كالترجمان ، ثم جعل الحواس رسل القلب يستنسخ ما حصل فيها ، فالسمع رسول وهو جاسوسه ، والبصر رسول وهو حارسه ، واللسان رسول وهو ترجمانه ، ثم جعل في الإنسان ما هو دلالة على الربوبية وتصديق الرسالة المحمدية وذلك الهيكل الإنساني لما افتقر إلى مدبر وهو الروح وكان مدبره واحدا وكانت الروح غير مرئية ولا مكيفة ولا متجيزة في شيء من الجسد ، ولا يتحرك شيء من الجسد إلا بشعوره به وإرادتها له لا يحس ولا يحس إلا بها ، وكان ذلك كله دلالة على أن العوالم لا بد لهم من مدبر ومحرك ، ويلزم منه أن يكون واحدا عالما بما يحدث في سلكه قادرا على حدوثه ، وأنه غير مكيف ولا متمثل ولا مرئي ولا متحير ولا متبعض ولا محسوس ولا ملموس ولا مقبوس ، بل - ليس كمثل شيء وهو السميع البصير - ولما كان رسوله إلى خلقه اثنين ظاهرا وباطنا ، فرسوله الظاهر محمد رسول الله ورسوله الباطن جبريل ، فجبريل يأتيه بالوحي بين قومه ولا يحسونه ولا يعرفونه فكذلك كان لمدبر هذا الهيكل الإنساني وهو الروح رسولان باطن وظاهر فالرسول الباطن هي الإرادة بمنزلة جبريل يوحى إلى اللسان ، واللسان يعبر عن الإرادة وهو بمنزلة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم لما جعل فيك دلالة على صحة نبوته وصدق رسالته جعل فيك أيضا دلالة على ما جاء به من تحقيق شريعته واتباع سنته فكان أصل الأيدي خمسة أشياء كل منها خمس ، فالأصل الأول ما بنى عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان والحج إلى بيت الله الحرام »

الأصل الثاني وكانت الصلاة المفترضة خمسا . والثالث الزكاة المفروضة في النصاب خمس والرابع - محمد رسول الله والذين معه - أبو بكر وعمر وعثمان وعلي فهم خمسة برسل الله صلى الله عليه وسلم . الخامس أهل البيت خمسة محمد صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين ، فلما كان أركان الدين إقامة أركان شريعته ومحبة صحابته ومودة قرابته جعل في أعضائه دلالة على ذلك خمسة ، فالخمس التي بنى الإسلام عليها بمنزلة الحواس الخمس منك وهي السمع والبصر واللمس والشم والذوق لأنك تجد بهذه الحواس مذاق كل شيء ومعرفة كل شيء ، وكذلك تجد بإقامة تلك الأركان الخمسة ذوق كل شيء وإدراك العرفان ومعرفة الرحمن وعلم الإيقان ، فحاسة البصر تدعوك إلى إقامة أركان الصلاة ، قال صلى الله عليه وسلم « جعلت قرعة عيني في الصلاة » ، وحاسة اللمس تدعوك لأداء الزكاة ، قال الله تعالى « خذ من أموالهم صدقة » ، وحاسة الذوق تدعوك إلى ترك ذوق الطعام لإقامة ركن الصيام ، وحاسة السمع تدعوك إلى استماع الأذان - وأذن في النامس بالحج - ، وحاسة الشم تدعوك إلى انتشاق أنفاس التوحيد « إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمين » فهذه الحواس تدعوك إلى إقامة الأركان الخمس ، وجعل أصابعك الخمس في يمينك بمنزلة محمد صلى الله عليه وسلم ، والذين معه هم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، وإن آدم عليه السلام لما خلق نور سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في جبينه كانت الملائكة تستقبله وتسلم على نور محمد صلى الله عليه وسلم ، وآدم عليه السلام لم يره فقال : يا رب أحب أن أنظر إلى نور ولدي محمد صلى الله عليه وسلم ، فحوّله إلى عضو من أعضائي لأراه فحوّله إلى سبابته في يده اليمنى فنظر إليه يتلأل في مسبحته فرفعها فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، فلذلك سميت المسبحة ، فقال : يا رب هل بقي في صلبي من هذا النور شيء ؟ قال : نعم : نور أصحابه ، وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، فجعل نور علي في إبهامه ، ونور أبي بكر في الوسطى ، ونور عمر في البنصر ، ونور عثمان في الخنصر ، وقيل إنما جعلت في يدك لتقبض برءوسهم على حب هؤلاء الخمسة ، ولا تفرق بينهم وبين محمد صلى الله عليه وسلم ، فإن الله جمع بينهم بقوله تعالى - محمد رسول الله والذين معه - ثم جعل أصابعك الخمس في اليد اليمنى مذكرة بالخمسة أشباح ، وهم أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس



بقوله - إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنزلت هذه الآية فينا أهل البيت أنا وعلي وفاطمة والحسن والحسين، ثم جعل أصابع قدميك الخمس مشيرة لك مذكرة بالخمس صلوات التي افترضها الله عليك فتقوم بها على قدميك لأنها خدمة الله تعالى في الأرض، والخدمة إنما تكون من القدمين فلذلك جعلت قدمك اليمنى مذكرة بالصلوات الخمس، وأصابع قدمك اليمنى تذكرك بما يجب من نصاب الزكاة وهي خمس دراهم، فالزكاة مقرونة بالصلاة فلذلك كانت أصابع القدمين إشارة إلى الصلاة والزكاة ثم جعل فيك ما يدل على الموت والبعث، وما يدل على نعيم القبر وعذابه، وهو النوم، وما يراه النائم من منام سيء فيتعذب به فيصير بالنوم كالميت فاقد الحس فلا تسمع له، ولا يبصر له، ولا إدراك له، ثم جعل له سمعا وبصرا وإدراكا فيسمع ويبصر بسمع وبصر عن سمعه وبصره، ويرى نفسه تذهب حيث تشاء ويأكل ويشرب، فهي بمنزلة ما يراه الميت في قبره من النعيم والعذاب في مدة البرزخ بين الموت والبعث، ثم يوقظك الله من نومك لآخر مرادك ولا عين اختيارك، فلو أردت أن لا تنتبه من ذلك فأنت تطيق أن لا تبعث، وهذا تكذيب من أنكر البعث بعد الموت وجهله، وهم الزنادقة، والدهرية، والفلاسفة، ورد على من أنكر عذاب القبر ونعيمه ومسلته، وهم المعتزلة. ثم أعلم أن الله تعالى خلق خلقه على ثلاثة أصناف، فقال تعالى - والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه - كالحيات والديدان - ومنهم من يمشي على رجلين - كالطير وال آدمي - ومنهم من يمشي على أربع - كالذباب - فمنهم صنف كالساجد، وصنف كالراكع، وصنف كالقائم فالقائم كالأشجار والجدران لا يطبقون ركوعا، والراكع كالذباب لا يطبقون سجودا ولا قياما، والساجد كالخشرات لا يطبقون رفعا وكلهم مخلوقون لطاعته وتقديسه وتنزيهه - وإن من شيء إلا يسبح بحمده - فجمع سبحانه لك سائر عبادات خلقه وطاعتهم وبسط لك في خلقه إن شئت أن تعبدته قائما وراكعا وساجدا فعملت ليجمع لك فضيلة جميع خلقه، فكذلك فرض عليك الصلاة، وجعلها تشتمل على سائر عبادات خلقه فكذلك فضيلة القوم والركع والسجد، وأنت المقصود من كل الوجود، وأنت خاصة العبيد المراد المعبود، فهذا معنى قولنا متقدما خلق الله آدم عليه

السلام على صورة اسم محمد صلى الله عليه وسلم، وخلق الكون على هيئة رحمته، وأعلم أن الملائكة الأعلى مسخرون في نفع شجرة الكون مستعملون لمصالحها قائمون بحقوقها لما فيها من خاصية هذا الغصن المحمدي والنور الأحمدى، فأول ما أنساخ نهار الوجود من ظلمة ليل العدم شعثت أنوار الشموس المحمدية في أفق جبين آدم عليه السلام فخرت الملائكة سجدا، وقالوا: ملك العرش محمد أبدا، فلما أمروا بالسجود فسجدوا وخصوا بالشهود فشهدوا، وقبل لهم شكر أن هذه المشاهدة أن تقوموا على قدم المجاهدة في خدمة شجرة هو أصلها، ودولة هو عقدتها وحلها فليكن منكم السفرة يسعون بالصحف المطهرة، وليكن منكم البررة بطوفون حول حى هذه الشجرة، وليكن منكم الحملة يحملون لكل عامل عمله، وليكن منكم الكتاب يقومون على أعتاب من قد تاب، وليكن منكم من يغسل وجوههم من غبار الأوزار بماء الاستغفار ويستغفرون لمن في الأرض، وليكن منكم الحفظة يحفظون عليهم أعمالهم، ويحصون ما عليهم وما لهم، وليكن منكم من يسعى في أرزاقهم ليتفرغوا للطاعة رازقهم، فيقوم يرسلون الرياح، وقوم يسرون السحاب وقوم يسجرون البحار، وقوم ينزلون ماء الأمطار، وقوم يحفظون الأقطار، وقوم يغشون الليل، وقوم يسبحون النهار، وقوم معقبات يحفظون الجوارح من الموبقات، وقوم يرفعون الآفات، وقوم يزخرقون الجنان، وقوم يسعرون النيران فلما تمهدت الدار، ودار كأس إرادته فاستدار فأول ما استحضر إلى ذلك المحضر إبليس، وهو يرقل في ثياب التسييع والتقديس لكنها محشوة بأدغال التندليس، فلما حضر إلى ذلك المحضر، وشاهد جمال ذلك المنظر، ووقفت على عرفات المعرفة فأنكر وأصر على العصيان، وأضمر واستصغر حق هذا الماء والطين واستحقق، فلما قيل له اسجد في صفاء كاساتك فأبى واستكبر فتجاوز الكاس، وفاتته صحبة الأكياس، وبقي في ظلمة الغم والوسواس، وفتش أكياس علمه وعمله، فإذا هي فلوس أكياس فبقى منقطعا في مفازة القطيعة قاطعا للشريعة والشرعية، كلما تزايد كربه وتعظم عليه ضربه يستغيث بلسان - فلا ضلنهم ولا منينهم ولا أمرتهم - والقدر يقول لا كتبتم منشور الأمان - إن عبادي ليس لك عليهم سلطان - فسأل المالك الإنظار فأنظر ليكون قائد الكفار إلى النار، عكازة يعتمد عليها ذوو الذنوب



والأوزار، فإذا زلّ أحدهم قال - إنما استغزاهم الشيطان - وإن عمل قال - هذا من عمل الشيطان - فلما اقتحم آدم وإبليس عقبة المعصية - هذا يترك ما أمر به وذاك يفعل ما نهى عنه جمع بينهما القدر إذ قدر، لأنه تعالى أمر وأراد خلاف ما أمرنا وبه الأمر سلبته الإرادة . فلما تعديهاها حكم لإبليس أن لا يتعديهاها وطنب الشقي فيها خيامه، وجعل في عرصتها مقامه . وأما آدم فإنه حن إلى دار المقامة، وتذكر لياليه وأيامه، فعاد على نفسه بالملامة، فنأدى بين ندماء الندامة - ربنا ظلمنا أنفسنا - فتلقى بشير قربته بتفريج كربته - فتلقى آدم من ربه كلمات - وأما الشقي إبليس فانطلقت إليه خيول اللعنة مطلقة الأعنة تبشره بطرده وبعده ، فأخرج منها مأمورا - قلنا اهبطوا - فتقلقل آدم قلقا، وكاد أن يتمزق حرقا، وقال : سيدي جرعت مرارة الصدود في الصعود فأعذني من حرارة القنوط في الهبوط، فقيل له لا بأس عليك حتى تصل إلى مفرق فربقين - فريق في الجنة، وفريق في السعير - فأخذ آدم ذات اليمين، وأخذ إبليس ذات الشمال فكان أصلا لأصحاب الشمال، لكنهما لما اصطحبا واجتمعا فكان للصحب أثرفكان محلله من آدم وسيره معه مما يلي شماله فأثر ذلك على ما كان في أصله من الصفح الأيسر فبرحوا في ظل ظلمة مخالفتهم فكفروا بقربهم منه ومحذاتهم له، وبقي من كان في الصفح الأيمن في نور معرفة آدم فسلموا من ظلمة إبليس لبعدهم عنه، وأثر عليهم جوار من كفر واستظل بظلمة ضلاله وهم أهل الصفح الأيسر وأثر ذلك في صفاتهم، وسلمت لهم أنوار ذواتهم ومعارفهم؛ فما يرتكبه أهل الصفح الأيمن من المعاصي والأوزار هو من أثر ذلك الجوار، وأشعة ذلك العذار واعلم أنه كان لذلك الأثر أصل آخر وسبب آخر وهو أنه لما أمر الله تعالى بقبض القبضة التي خلق منها آدم عليه السلام فهبط ملك الموت لذلك ، وكان إبليس يومئذ في الأرض قد استخلفه الله تعالى فيها مع جملة من الملائكة ، وقد مكث زمانا طويلا يعبد الله فقبض ملك الموت القبضة من سائر الأرض وكان إبليس يطؤها بقدمه، فلما عجنت طينة آدم وصورت صورته من تلك الطينة إجماع خلق النفس من التراب الذي وطئه إبليس بقدمه ، وخلق القلب من التراب الذي لم يطأه إبليس بقدمه ، فاكتسبت النفس ما فيها من الخبث والأوصاف المذمومة من ملامسة وطء إبليس ، ومن هنا جعلت النفس مأوى

الشهوات ، وعيشه وسلطانه عليها لوطئه لها ، ومن هنا جعل إبليس التكبر على آدم حيث وجدها من تراب قدمه ونظر إلى جوهر عنصره ، وهو النار فادعى الفخار حينئذ ومال إلى الاستكبار ، وهذا معنى قول الله سبحانه وتعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان - التي خلقت من تحت خطواته . اعلم أنه لما نشأت شجرة الكون أنبت أغصانا ثلاثة غصن ذات اليمين، وغصن ذات الشمال، وغصن نبت مستقيما قويا، وهو غصن السابقين فكانت روحانية محمد صلى الله عليه وسلم قائمة بالثلاثة أغصان متعلقة بها سارية فيها لكل غصن نصيب على مقدار قابليته لتلك الروحانية قال الله تعالى - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - فكان حظ غصن أصحاب اليمين روحانية الهداية، والمتابعة له والعمل بسنته وشريعته، قال الله تعالى - الذين يتبعون الرسول النبي الأمي - الآية، وكان حظ السابقين روحانية القربى منه والزلفى لديه والصحبة له - فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين - الآية ، وكان حظ أصحاب الشمال من روحانية حمايتهم في الدنيا وأمنهم من العقوبة المعجلة - وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم - الآية؛ فلما آن أوان ظهور جسمانيته صلى الله عليه وسلم إلى الوجود نبت غصن وجوده مستقيما قويا، فلما ثبت أصله ونبت فرعه ناداه متولى سياسته - فاستقم كما أمرت - فكانت صفته صلى الله عليه وسلم الاستقامة ومقامه دار المقامة ، فلما استقام رحل عن الكونين ، ولما أقام نقل من مقام إلى مقام حتى استقر به المنزل فأقام ، فالمقام الأول مقام الوجود في الدنيا ، وهو قوله تعالى - يا أيها المدثر قم فأنذر - والمقام الثاني مقام المحمود في الآخرة ، وهو قوله تعالى - عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا - والمقام الثالث مقام الخلود في الجنة ، وهو قوله تعالى : - الذي أحلنا دار المقامة من فضله - والمقام الرابع مقام المشهود مقام قاب قوسين لرؤية المعبود - ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى - الآية، فهو المخصوص بالدنوة والعلو والشهود إذ كان هو المقصود من كل الوجود، لأن الوجود لما كان شجرة كان هو ثمرتها، وكان هو جوهرتها، فالشجرة المثمرة إنما تثمر بالحبة التي ينبت بها أصلها فإذا غرست تلك الحبة وغذيت وربيت حتى نبتت وفرعت وأورقت واهتزت وأثمرت، فإذا نظرت تلك الشجرة رأيتها في تلك الحبة التي نبت منها هذه الشجرة، فالحبة في البداية نظفة



حتى أظهرت صورة الشجرة ، والشجرة في النهاية بها ظهرت فأظهرت صورة تلك الحبة فكذلك بطونه صلى الله عليه وسلم في المعنى في السابق ، واختفاؤه وظهوره في الصورة في اللاحق واشتغاره ، وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم « كنت لها وآدم بين الماء والطين » فكان هو مظهر معنى هذه الشجرة ، وهو مظهر صورته صلى الله عليه وسلم ، فما برح بلسان القدم مذكورا ، وفي طي العدم منشورا ، وما مثال ذلك إلا مثال تاجر حمد إلى فراشه وبزه فطواه في خزانة ملكه وعباه أثوابا بعضها فوق بعض فأول ثوب دججه وطواه ، هو آخر ثوب أظهره وأبداه ، كذلك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كان أولا لكل وجودا وآخرهم ظهورا وخروجاً ، فلما تولى مقصارا لقدر سياسة هذا الغصن النبوي فغذاه بلباب بره وسقاه بكأس محبته وحماه في قلة حماه ورباه حتى اهتزت رباه ، وتفرحت نفحات شلواه فكانت تلك النفحات غذاء أرواح العارفين ، ونور بصائر المؤمنين وربحانة حضرة المحبين ، وهرصة مجمع العاصين ، وغياث مستسقى المذنبين ، فإن هب من تلقاء أمصاب الشمال مسموم خطيئة أو عاصف معصية ، فأمال غصنا قد أنهته الله نهائاً ، قال به إلى حمل من أهمال أهل الشمال تلاعب بفرعه ، وأثر ذلك في خضرة نصارة زرعه ، لكن أصله في أرض الإيمان ثابت ، فما يضره ما حدث في فرعه للناصب ، إذا تداركه صاحب سيئاته فحماه من ذلك الهوى ، وأماله إلى طريق الاستقامة بعد الطوى ، وسقاه بماء الاستغفار حتى ارتوى ، فهناك يقبل منه ما توى ، ويورق غصن إيمانه بعد ما توى ، ويقوم خطيب الاعتذار عنه وهو الصادق فيما نقل وروى ، ويقسم بالنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى ، ثم اطمأن الغصن المحمدي قد حصل من روحانية ما هو مادة الأرواح ، ومن جسمانية ما هو مادة الأشباح ، فأما مادة روحانيته جوده في سر قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - إلى قوله تعالى - مصباح - يعني مصباح نور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد جعله مصباح مشكاة الوجود فشبه الكون بالمشكاة ، وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالزجاجة والنور الذي هو قلبه بالمصباح ، فأشرق نور باطنه على ظاهره ، كما أشرق المصباح في الزجاجة ، فصار نور المصباح نارا والزجاجة نورا لصفائها ، فصار نورا وكان حظ كل مخلوق من ذلك بحسب قربه منه وانهاه له والدخول في شيعته ،

والعمل بشريعته ، وهو معنى قوله تعالى - أنزل من السماء ماء بقدر - فشبه الله تعالى حبيبه محمداً صلى الله عليه وسلم بالماء النازل من السماء بقدر لأن الماء حياة كل شيء ، وكذلك كان نوره صلى الله عليه وسلم حياة كل قلب ووجوده رحمة لكل شيء ، ثم بين انتفاع الناس بنوره ، وما نالهم من بركته صلى الله عليه وسلم بالأودية فجعل القلوب أودية منها الكبير والصغير والجليل والحقير : فاحتمل كل قلب على قدر وسعه ومقدار مادته من الماء وتطرق السبل إليه - قد علم كل أناس مشربهم - ثم شبه جسمانيته بالزبد الرابى المحتل على وجه الماء الصافي وهو مرباه الظاهر من الأكل والشرب والكباح ، ومشاركة الناس في أفعالهم وأحوالهم فذلك كله يذهب ويتلاشى - وأما ما ينفذ الناس - من نبوته ورسالته وحكمته وعلمه ومعرفته وشفاعته - فيمكن في الأرض - واعلم أنه إنما كانت حكمة خلقه كذلك أنه خلق من لطيف وكثيف ليكون كامل الخلق كامل الوصف خلقه الله تعالى من فئتين جسماني وروحاني فجعل جسمانيته وبشريته لملاقاة البشر ، ومقاييس الصور ، فجعل له قوة يلاقي بها البشر فيمددهم بمادة بشرية فيكون معهم بهم فيكون هم لهم - إنما أنا بشر مثلكم - يجانسهم ويشاكلهم لأنه لو برز إليهم في هيئة روحانية ملكية نورانية لما أطاقوا مقابله ، وما استطاعوا مقاومته فلذلك من الله تعالى بقوله لقد جاءكم رسول من أنفسكم - ثم جعل له قوة وروحانية يقابل بها عالم الروحانيين وملكوت العلويين ليكون تام البركة تام الرحمة الروحانيون يشهدون جسمانيته ، ثم جعل له وصف ثالث خاص بخارج عن هذين الوصفين وهو أنه جعل فيه وصف رباني وسر إلهي يثبت به عند تجلي صفات الربوبية ، ويطبق به مشاهدة الحضرة الإلهية ، ويتلقى به أسرار أنوار الفردانية ، ويسمع به خطابات الإشارات القدسية ، وينشق به عطر النفحات الرحمانية ، ويعرج به إلى المقامات العلية البهية ، وهو معنى سر قوله صلى الله عليه وسلم « لست كأحدكم » وقوله صلى الله عليه وسلم « لي وقت لا يسعني فيه غير ربي سبحانه » فهذا المقام ليس يختص به ملك مقرب ولا نبي مرسل ، كأس لم يتناوله سواه ، حروم ما جللت إلا عليه وهو هذا المقام المخصوص به وهو أحد المقامات الأربعة التي ذكرناها وأما الثلاثة الأخر فلإنها كرامات لسائر الخلق ليتناول كل منهم ما قسم له من النصيب ، فأما المقام



المحمود فمخصوص بعالم الصورة وهو عالم الملك في الدنيا فيتناولهم وجود طمأنينته وبركة نبوته ورسالته - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - أقيم على منبر - يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك - الآية فهو في الدعوة محييهم ، وفي النصيحة خطيئهم ، ومن الزلزلة طيبهم ، ومن المحبة نصيهم فهذا مخصوص بأهل الدنيا ، وأما المقام الثاني فهو المقام المحمود في القيامة ، وذلك نصيب الملائكة الأعلیٰ فينالهم من ركة مقامه ومشاهدة جماله وسماع كلامه - يوم يقوم الروح والملائكة - الآية ، يؤذن له في الخطاب ، فيقوم خطيبا ، والملائكة صفوفًا والخلائق وقوفًا ، فيفتتح خطبته بالشفاعة لأمتة ينادي أمتي أمتي فيجيبه رحمتي رحمتي . وأما المقام الثالث فالشهود : وذلك في دار الخلود لينال أهل الجنة منه نصيبهم تتمتع بمشاهدته الخور ، وتنشرف بحلوه القصور ، ويقدم لقدمه السرور ، وتزداد الجنة نورًا ، وترفع بقدمه الحجب وتزول الشرور . المقام الرابع : هو المقام الذي محص به صلى الله عليه وسلم وهو مقام رؤية المعبود جل وعلا ، وهو مقام قاب قوسين أو أدنى ، وذلك أنه لما كان ثمرة شجرة الكون ودرة صدفة الوجود وسره ، ومعنى كلمة كن ولم تكن الشجرة مرادة لذاتها ، وإنما كانت مرادة لثمرتها فهي محمية محروسة لاجتناء ثمرتها واستجلاء زهرتها ، فلما كان المراد عرض هذه الثمرة بين يدي مثمرها وزفها إلى حضرة قربه ، والطواف بها على ندمان حضرته ، قيل له : يا بيم أبي طالب قم فإن لك طالب قد ادخر لك مطالب ، فأرسل إليه أخص خدام الملك ، فلما ورد عليه قادمًا وافاه على فراشه نائمًا ، فقال له يا جبريل إلى أين ؟ فقال : يا محمد ارتفع الآن من البين فلاني لا أعرف في هذه النوبة أين لكني رسول القدم أرسلت إليك من جملة الخدم - وما تنزل إلا بأمر ربك - قال : يا جبريل فما الذي مراد مني ؟ قال : أنت مراد الإرادة مقصود المشيئة فالكل مراد لأجلك ، وأنت مراد لأجله ، وأنت مختار الكون ، أنت صفوة كأس الحب ، أنت درة هذه الصدفة ، أنت ثمرة هذه الشجرة أنت شمس المعارف ، أنت بدر اللطائف مامهت الدار إلا لرفعة محلك ماهي هذا الجمال إلا لوصولك ماروق كأس المحبة إلا لشريك ، فقم فإن الموالد لكرامتك بمدودة ، والملا الأعلى بقباشرون بقدمك عليهم ، والكروبيون يتهللون بورودك إليهم ، وقد نالهم شرف روحانية فلا بد لهم من نصيب جسمانية ، فشرف عالم

الملوك كما شرفت عالم الملك وشرف بوط قدميك قبة السماء كما شرفت بهما أديم البطحاء . قال : يا جبريل ، الكريم يدعوني فماذا يفعل بي ؟ قال ليغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر . قال هذا لي فما لعيالي وأطفالي ، فإن شر الناس من أكل وحده قال - ولسوف يعطيك ربك فترضى - . قال يا جبريل : الآن طاب قلبي ها أنا ذاهب إلى ربي ، فقرب له البراق ، فقال مالي بهذا ؟ قال مركب العشاقي ، قال أنا مركبي شوقي ، وزاد توقي ، ودليلي ليلي أنا لا أصل إليه إلا به ، ولا بداني عليه إلا هو وكيف بطيق حيوان ضعيف أن يحمل من يحمل أثقال محبته ، ورواسي معرفته ، وأسرار أمانته التي عجزت عن حملها السموات والأرض والجهال وكيف تطيق أن تدل بي وأنت الحائر عند سدرة المنتهى ، وقد انتهى إلى حضرة ليس لها منتهى ، يا جبريل : أين أنت مني ولي وقت لا يسعني فيه غير ربي : يا جبريل إذا كان محبوبني ليس كمثل شيء ، فأنا لست كأحدكم ، المركوب يقطع به المسافات والدليل يستدل به إلى الجهات ، وإنما ذلك محل الحداثات ، وأنا حبيبي مقدس عن الجهات منزّه عن الحداثات لا يوصل إليه بالحركات ، ولا يستدل عليه بالإشارات فمن عرف المعاني عرف ما أعاني فلم إن قرني منه مثل قاب قوسين أو أدنى فوقعت هيئة الوقت على جبريل ، فقال : يا محمد إنما جئني إليك لأكون خادماً دولتك وصاحب حاشيتك وجيء بالمركب إليك لإظهار كرامتك ، لأن الملوك من هاداتهم إذا استزاروا حبيباً أو استدعوا قريباً وأرادوا ظهور كرامتهم واحترامهم أرسلوا أخص خدامهم وأعز دوابهم لنقل أقدامهم فجئناك على رسم عادة الملوك وآداب السلوك ، ومن اعتقد أنه سبحانه وتعالى يوصل إليه بالخطا وقع في الخطا ، ومن ظن أنه محبوب بالغطاء فقد حرم العطاء ، يا محمد إن الملا الأعلى في انتظارك ، والجنان قد فتحت أبوابها وزخرفت رحابها وتزينت أترابها وروق شراها كل ذلك فرحاً بقدومك وسروراً بورودك ، والليلة ليلتك : والدولة دولتك ، وأنا منذ خلقت منتظر هذه الليلة ، وقد جعلتك الوسيلة في حاجة ، قلت فيها حيلتي ، وانقطعت وسياقي ، فأنا فيها حائر العقل ذاهل الفكر داهش السر مشغول البال زائد البلبال يا محمد حيرني أو قفنتني في ميادين أزله وأبدته ، فجئت في الميدان الأول فوجدت له أول ، وملت إلى الميدان الآخر ، فإذا هو في الآخر أول ، فطلبت رفيقا إلى ذلك



الرفيق، فلتقاني ميكائيل في الطريق، فقال لي: إلى أين؟ الطريق مسدودة والأبواب  
دونه مكدودة لا يوصل إليه بالأرمان المكدودة ولا يوجد في الأماكن المكدودة؛  
قلت: فما وقوفك في هذا المقام؟ قال: شغلني بمكايل البحار، وإنزال الأمطار،  
وإرسالها في سائر الأقطار، فأعرف كم أجابها مددا، وكم تقذف أمواجهازبدا،  
ولا أعرف للأحدية أمدا، ولا للفردية عددا: قلت: فأين إسرافيل. قال: ذلك  
أدخل في مكتب التعليم يصافح بصفحة وجهه اللوح المحفوظ، ويستنسخ منه ما هو  
معلوم ومنقوض، ثم يقرأ على صبيان التعليم في مثال - ذلك تقدير العزيز العليم -  
ثم هو في زمن تعلمه لا يرفع رأسه حياء من معلمه، فطرفه عن النظر مقصور؛  
وقلبه عن الفكر محصور، فهو كذلك إلى يوم ينفخ في الصور. قلت: فهل نسأل  
العرش، ونستهديه ونستنسخ منه ما علمه ونستمليه، فلما سمع العرش ما نحن فيه  
اهتز طربا وقال لا تحرك به لسانك ولا تحدث به جنانك، فهذا سر لا يكشفه  
حجاب، وستر لا يفتح دونه باب، وسؤال ليس له جواب، ومن أنا في البين حتى  
أعرف له أين؟ وما أنا إلا مخلوق من حرفين، وبالأمس كنت لا أثر ولا عين، من  
كان بالأمس عدما مفقودا كيف يعرف رؤية من لم يزل موجودا، ولا والدا  
ولا مولودا وهو سبقي بالاستواء؟ وقهرني بالاستيلاء، فلو لا استواؤه لما استويت  
ولو لا استيلاؤه لما أهديت، استوى إلى السماء وهي دخان، واستوى على العرش  
لقيام البرهان فوعزته لقد استوى، ولا علم لي بما استوى، وأنا والنرى بالقرب  
منه على حد سوى، فلا أحيط بما حوى، ولا أعرف ما زوى، ولكنني هبدله؛  
ولكل هبد مانوى، ثم إنني أخبرك بقصتي، وأبت إليك شكوى غصتي، أقسم بعلي  
هزته، وقوى قدرته لقد خلقتني، وفي بحار أحديته غرقني، وفي بيضاء أبديته  
عبرتني، تارة يطلع من مطالع أبديته فيعشني؛ وتارة يدنبنني من مواقف قربه  
فبؤسني، وتارة يحتجب بحجاب عزته فيوحشني، وتارة يناجيني بمناجاة لطفه  
فيطربني، وتارة يواصلني بكاسات حبه فيسكرني، وكلما استعذبت من عريضة  
سكرى، قال لسان أحديته - إن تراني - فذبت من هيبة فرقا وتمزقت من محبته قلقا،  
وصمقت عن تجلي عظمته كما خر موسى صعبا، فلما أفقت من سكرة وجددي به  
قبل لي: أيها العاشق هذا جمال قدصناه، وحسن قدحجنناه، فلا ينظره إلا حبيب

قد اصطفيناه، ويتم قدر بيناه، فإذا سمعت - سبحان الذي أسرى بعبده - فقف  
على طريق هروجه إلينا وقدمه علينا، لعلك ترى من يرانا، وتفوز بمشاهدة من  
لم ينظر إلى موانا، يا محمد إذا كان العرش مشوقا إليك، فكيف لا أكون خادما  
بديك، قدم إليه مركبه الأول: وهو البراق إلى بيت المقدس؛ ثم المركب الثاني:  
وهو المعراج إلى سماء الدنيا، ثم المركب الثالث: وهو أجنحة الملائكة من سماء  
إلى سماء، وهكذا إلى السماء السابعة؛ ثم المركب الرابع: وهو جناح جبريل  
عليه السلام إلى سدرة المنتهى، فتخلف جبريل عليه السلام عندها، فقال:  
يا جبريل، نحن الليلة أضيافك، فكيف يتخلف المضيف عن ضيفه، أهنا  
نترك التحليل خليله؟ قال يا محمد أنت ضيف الكريم، ومدعو القديم، لو تقدمت الآن  
بقدر أنملة لا احترقت - ومامننا إلا له مقام معلوم - قال يا جبريل إذا كان كذلك ألك  
حاجة؟ قال: نعم، إذا انتهى بك إلى الحبيب حيث لا منتهى، وقبل لك:  
ها أنت وها أنا، فاذا كرتني عند ربك، ثم زج به جبريل عليه السلام زجة فخرق  
سبعين ألف حجاب من نور، ثم تلقاه المركب الخالص: وهو الرفرف من  
نور أخضر، قد سد ما بين الخافقين فركبه حتى انتهى به إلى العرش فتمسك العرش  
بأذنيه وناداه بلسان حاله وقال: يا محمد، إلى متى تشرب من صفاء وقتك  
آمناء من معسكره، تارة يتشوق إليك حبيبك وينزل إلى سماء الدنيا، وتارة  
يطوف بك على ندمان حضرته ويحملك على رفرف وأفته - سبحان الذي أسرى  
بعبده - وتارة يشهدك جمال أحاديثه - ما كذب الفؤاد ما رأى - وتارة يشهدك جمال  
صمدانيته - مازاغ البصر وما طغى - وتارة يطلعك على سرائر ملكوتيته - فأوحى إلى  
عبيده ما أوحى - وتارة يدنبك من حضرة قربه - فكان قاب قوسين أو أدنى -  
يا محمد، هذا أوان الظمان إليه واللهفان عليه والمتحير فيه لا أدري من أي جهة  
آتيه، جعلني أعظم خلقه، فكنت أعظمهم وأشد همهم فامنه، يا محمد خلقتني يوم  
خلقتني فكنت أرعد من هيبته جلالة، فكنت على قائمتي: لا إله إلا الله فازددت  
لهيبة اسمه ارتعادا وارتعاشا، فلما كتب علي محمد رسول الله سكن لذلك قلقي  
وهذا روعى، فكان اسمك أمانا لقلبي وطمانينة لأسرى ورقية لقلبي، فهذه بركة  
وضع اسمك علي، فكيف إذا وقع جميل نظرك لي، يا محمد أنت المرسل رحمة



للعالمين ولا بد لي من نصيب في هذه الليلة ، ونصيب من ذلك أن تشهد لي بالبراءة من النار مما نسبته إلي أهل الزور ، وتقول علي أهل الغرور فإنه أخطأ في قوم فضلوا وظنوا أني أسع من لأحداه ، وأهل من لاهيته له ، وأحيط بمن لا كيفية له ، يا محمد من لأحد لادته ولا عدل صفاته ، فكيف يكون مفتقرا إلى أو محمولا علي ، فإذا كان الرحمن اسمه ، والاستواء صفته ونعته ، وصفته ونعته متصلا بذاته فكيف يتصل بي أو يتفصل عني ولا أنا منه ولا هو مني ؟ يا محمد وعزته لست بالقرب منه وصلا ، ولا بالبعد عنه فصلا ، ولا بالمطبق له حملا ، ولا بالجامع له شملا ، ولا بالواجد له مثلا ، بل أوجدني من رحمته منة وفضلا ، ولو محقني لكان فضلا منة وعدلا ، يا محمد أنا محمول قدرته ومعمول حكمته فكيف يصح أن يكون الحامل محمولا - فلا نقف ما ليس لك به علم - إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا - فأجابه لسان حاله صلى الله عليه وسلم : أيها العرش ، إليك عني ، فأنا مشغول عنك فلا تكدر علي صفوتي ، ولا تشوش علي خلوتي ، فما في الوقت سعة لعتابك ولا محل لخطابك ، فما أعاره صلى الله عليه وسلم طرفا ولا قرأ من مسطور ما أوحى إليه حرفا - مازاغ البصر - ثم قدم المركب السادس وهو التأيد ، فنودي من فوقه ولم ير حافظك قد أمك ها أنت وربك ، قال : فبقيت متحيرا لا أصر ف ما أقول ولا أدري ما أفعل إذ وقعت علي شفتي قطرة أحلى من العسل وأبرد من الثلج وألين من الزبد وأطيب ريحا من المسك ، فصرت بذلك أعلم من جميع الأنبياء والرسل ، فجرى علي لساني : التحيات المباركات لله الصلوات الطيبات لله ، فأجبت السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فأشركت إخواني الأنبياء فيما خصصت به ، فقلت : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أراد بهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ولهذا قيل لأبي بكر رضي الله عنه ليلة أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه رأى ربه قال صدق وكنت معه متمسكا بأذياله مشاركته في مقاله ، قيل : كيف ؟ قال في قوله : السلام علينا ، فأجابه الملائكة : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسوله ، قال : ثم نوديت ادن يا محمد فدنوت ثم وقفت وهو معنى قوله عز وجل - ثم دنا فتدلى - وقيل دنا محمد في السؤال ، فتدلى ، فتقدم للرب عز وجل . قيل دنا بالشفاعة ، وتقرب إلى الرب بالإجابة ، وقيل دنا بالخدمة ، وتقرب

للرب بالرحمة - ثم دنا فتدلى - معناه : دنا محمد من ربه فتدلى عليه الوحي من ربه دنا لطافة فتدلى عليه رافة ورحمة ، لا يوصف بقصع مفازة ولا مسافة ، قد ذهب الأين من البين وتلاشى الكيف واضمحل الأين ، فكان قاب قوسين ، فلو اقتصر علي قاب قوسين لاحتمل أن يكون للرب مكان ، وإنما قوله - أو أدنى - لنفي المكان وكان معه حيث لا مكان ولا زمان ولا أوان ولا أكوان ، فنودي : يا محمد تقدم ، فقال : يا رب إذا انتفى الأين فأين أضع القدم ؟ قال : ضع القدم علي القدم حتى يعلم لكل أني منزّه عن الزمان والمكان والأكوان ، وعن الليل وعن النهار ، وعن الحدود والأقطار ، وعن الحد والمقدار ، يا محمد انظر فنظر فرأى نورا ساطعا فقال : ما هذا النور ؟ قيل ليس هذا نورا ، بل هو جنات الفردوس لما ارتقيت صارت في مقابلة قدميك ، وما تحت قدميك فداء لقدميك ، يا محمد مبدأ قدمك منقطع أو هام الخلاق ، يا محمد ما دمت في سير الأين ، جبريل دليلك ، والبراق مركبك فإذا ذهب المكان ، وغبت عن الأكوان ، وانتفى الأين ، وارتفع البين من البين ، ولم يبق إلا قاب قوسين ، فأنا الآن دليلك ، يا محمد أفتح لك الباب ، وأرفع لك الحجاب ، وأسمعك طيب الخطاب في عالم الغيب ، وحدتي تحقيقا وإيمانا فوجدني الآن في عالم الشهود مشاهدة وعيانا ، فقال : أعوذ بعفوك من عقوبتك ، فقيل هذا لعصاة أمتك ليس هذا حقيقة مدعى وحدتي ، فقال : « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » فقال : يا محمد إذا كل لسانك عن العبارة فلا كسونه لسان الصدق - وما ينطق عن الهوى - فإذا ضل حيالك عن الإشارة فلا تجعل عليك خلعة الهداية - مازاغ البصر وما طغى - ثم لأعيرتك نورا تنظر به جمالي ومسمعات سمع به كلامي ، ثم أعرفك بلسان الحال معني عز وجل علي وحكمة نظرك إلى فكأنه يقول مشيرا : يا محمد - إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا - والشاهد مطالب بحقيقة ما شهد به ، ولا يجوز له الشهادة علي غائب فأريك جنتي لتشاهد ما أعددت لأوليائي ، وأريك ناري لتشاهد ما أعددت لأعدائي ، ثم أشهدك جلالى وأكشف لك عن جمالى لتعلم أني منزّه في كمالى عن المثيل والشبيه والبديل والتظير والمشير وعن الحد والقد ، وعن الحصر والعد ، وعن الجوز والفرد ، وعن المواصلة والمفاصلة ، والمماثلة ، والمشاكلة ، والمخالسة ، والملازمة ، والمباينة والممازحة ، يا محمد



إني خلقت خلقى ودعوتهم إلى "فاختلفوا على"، فقوم جعلوا العزير ابني، وأن يدي مغولة، وهم اليهود، وقوم زعموا أن المسيح ابني، وأن لي زوجة وولدا، وهم النصارى، وقوم جعلوا لي شركاء وهم الوثنية، وقوم جعلوني صورة وهم المجسمة وقوم جعلوني محدودا وهم المشبهة، وقوم جعلوني معدوما وهم المعطلة، وقوم زعموا أني لا أرى في الآخرة وهم المعتزلة، وها أنا قد فتحت لك بابي، ورفعت لك حجابي، فانظر يا حبيبي يا محمد هل تجد في شيئا مما نسبوني إليه، فرآه صلى الله عليه وسلم بالنور الذي قواه به، وأبده به من غير إدراك ولا إحاطة فردا صمدا لا في شيء، ولا على شيء، ولا قائما بشيء، ولا مفتقرا إلى شيء، ولا هيكلًا ولا شبيها، ولا صورة، ولا جسما، ولا محيزا، ولا مكيفا، ولا مركبا. ليس كذلك شيء، وهو السميع البصير. فلما كلمه شفاها وشاهده كفاحا، فقال: يا حبيبي يا محمد لا بد لهذه الخلق من سر لا يذاع، وزمن لا يشاع. فأوحى إلى عبده ما أوحى. فكان سر من سر في سر:

وصلى اللهم وسلم وبارك على أشرف مخلوقاتك سيدنا ومولانا محمد بمر أنوارك، ومعدن أمراك، ولسان حجتك، وإمام حضرتك، وعروس مملكته، وطراز ملكك، وخزان رحمتك، وطريق شريعته: وسراج جنتك، وعين حقيقتك المتلذذ بمشاهدتك، عين أعيان خلقك، المقتبس من نور ضيائك، صلاة تحمل بها حقدي، وتفرج بها كربتي، وتقضي بها أربي، وتبلغني بها طلبي، صلاة دائمة بدوامك باقية ببقائك، قائمة بذاتك، صلاة ترضيك وترضيه وترضى بها عنايا رب العالمين.

• • •

وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

(نمت شجرة الكون، ويليها: حكاية إبليس اللعين)

## حكاية إبليس

فيما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمين، وعلى آله الطاهرين، وصحبه أجمعين.

عن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت رجل من الأنصار في جماعة فنادى مناد يا أهل المنزل أأذنون لي بالدخول ولكم إلى حاجة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتعلمون من المنادي؟ فقالوا الله ورسوله أعلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا إبليس اللعين لعنه الله تعالى، فقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أناذن لي يا رسول الله أن أقتله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم مهلا يا عمر أما علمت أنه من المظيرين إلى يوم الوقت المعلوم! ولكن افتحوا له الباب فإنه مأمور فافهموا عنه ما يقول واسمعوا منه ما يحدثكم. قال ابن عباس رضى الله عنهما ففتح له الباب فدخل عابنا فإذا هو شيخ أعور كوسج، وفي لحيته سبع شعرات كشعر الفرس وعيناه مشقوقتان بالطول ورأسه كرأس الفيل الكبير وأنيابه خارجة كأنياب الخنزير وشفته كشفني الثور، فقال: السلام عليك يا محمد السلام عليكم يا جماعة المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم السلام لله بالأمين قد سمعت حاجتك ما هي؟ فقال له إبليس يا محمد ما جئتك اختيارا ولكن جئتك اضطرارا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما الذي اضطررك يا لعين؟ فقال أنا في ملك من عند رب العزة فقال إن الله تعالى يأمرك أن تأتى لمحمد صلى الله عليه وسلم وأنت صاغر ذليل متواضع وتخبره كيف مكرك ببني آدم وكيف إغواؤك لهم وتصدق في أي شيء يسألك، فوعزني وجلالي لن كذبت بكذبة واحدة ولم تصدقه لأجعلنك رمادا تذروه الرياح ولأشتن



الأعداء بك ، وقد جئت بك يا محمد كما أمرت فاسأل عما شئت ، فإن لم أصدقك فيما سألتني عنه شمتت بي الأعداء وما شئ أصعب من شتمائة الأعداء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن كنت صادقا فأخبرني من أبغض الناس إليك ؟ فقال أنت يا محمد أبغض خلق الله إلى ومن هو على مثلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ماذا تبغض أيضا ؟ فقال شاب تقي وهب نفسه لله تعالى ، قال ثم من ؟ قال : عالم ورع عرفت أنه صبور قال ثم مني ؟ قال من يدوم على طهارة ثلاثة ، قال ثم من ؟ قال فقير صبور إذا لم يصف فقره لأحد ولم يشك ضره ، قال ومن يدريك أنه صبور ؟ قال يا محمد إذا شكك ضره لمخلوق مثله ثلاثة أيام لم يكتب الله له عمل الصابرين ، قال ثم من ؟ قال غني شاكرك ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما يدريك أنه شكور ؟ قال إذا رأته يأخذ من حله ويضعه في محله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيف يكون حالك إذا قامت أمتي إلى الصلاة ؟ فقال يا محمد تلحقني الحمة والرعدة ، قال ولم بالعين ؟ قال إن العبد إذا سجد لله سجدة رفعه الله درجة ، قال فإذا صاموا ؟ قال أكون مقيدا حتى يفطروا ، قال فإذا حجوا قال أكون مجنونا ، قال فإذا قرءوا القرآن ، قال : أذوب كما يذوب الرصاص على النار قال فإذا تصدقوا ، قال : فكأنما يأخذ المتصدق المنتشار فيجعلني قطعتين ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ولم ذلك يا أبا مرة ؟ قال فإن في الصدقة أربع خصال وهي أن الله تعالى ينزل في ماله البركة ويحببه إلى خلقه ويجعل صدقته حجابا بينه وبين النار ويدفع بها عنه العاهات والبلايا ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فما تقول في أبي بكر ؟ فقال يا محمد لم يطعن في الجاهلية فكيف يطعن في الإسلام ، قال فما تقول في عمر بن الخطاب ؟ قال والله ما لقيته إلا وهربت منه ، قال فما تقول في عثمان بن عفان ؟ قال أستحي ممن استحي منه ملائكة الرحمن ، قال فما تقول في علي بن أبي طالب ؟ قال ليتني سلمت منه رأسا برأس ويتركني وأتركه ولكنه لم يفعل ذلك قط ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي أسعد أمتي وأشقاك إلى يوم معلوم ، فقال له إبليس اللعين : هيات هيات وأين سعادة أمتك وأنا حي لا أموت إلى يوم معاوم ، وكيف نفرح على أمتك وأنا أدخل عابهم في مجاري الدم واللحم وهم لا يرونني ، فالذي خلقتني وأنظرني إلى يوم يبعثون لأغوينهم أجمعين

جاهلهم وعالمهم وأميهم وقارنهم وفاجرهم وعابدهم إلا عباد الله المخلصين ، قال ومن المخلصون عندك ؟ قال أما علمت يا محمد أن من أحب الدرهم والدينار ليس بمخلص لله تعالى ، وإذا رأيت الرجل لا يحب الدرهم والدينار ولا يحب المدح والثناء علمت أنه مخلص لله تعالى فتركته ، وإن العبد مادام يحب المال والثناء وقلبه متعلق بشهوات الدنيا فإنه أطوع ممن أصف لكم ، أما علمت أن حب المال من أكبر الكبائر ، يا محمد أما علمت أن حب الرياسة من أكبر الكبائر وأن التكبر من أكبر الكبائر ، يا محمد أما علمت أن لي سبعين ألف ولد ولكل ولد منهم سبعون ألف شيطان فمنهم من قد وكلته بالعلماء ومنهم من قد وكلته بالشباب ومنهم من قد وكلته بالمشايخ ومنهم من قد وكلته بالعجائز . أما الشبان فليس بيننا وبينهم خلاف وأما الصبيان فيلعبون بهم كيف شاءوا ، ومنهم من قد وكلته بالعباد ومنهم من قد وكلته بالزهاد فيدخلون عليهم فيخرجونهم من حال إلى حال ومن باب إلى باب حتى يسبواهم بسبب من الأسباب فتأخذ منهم الإخلاص وهم يعبدون الله تعالى بغير إخلاص وما يشعرون ، أما علمت يا محمد أن بر صبيصا الراهب أخلص لله سبعين سنة حتى كان يعافى بدعوته كل من كان سقيا فلم أتركه حتى زنى وقتل وكفر وهو الذي ذكره الله تعالى في كتابه العزيز بقوله تعالى - كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين - أما علمت يا محمد أن الكذب مني وأنا أول من كذب ومن كذب فهو صديقي ومن حلف بالله كذبا فهو حبيبي ، أما علمت يا محمد أني حلفت لآدم وحواء بالله إني لكما لمن الناصحين ، فاليمين الكاذبة سرور قلبي والغيبة والنميمة فاكهتي وفرحي وشهادة الزور قرة عيني ورغصاي ومن حلف بالطلاق بوشك أن يأتى ولو كان مرة واحدة ولو كان صادقا فإنه من عود لسانه بالطلاق حرمت عليه زوجته ثم لا يزالون يتناسلون إلى يوم القيامة فيكونون كلهم أولاد زنا فيدخلون النار من أجل كلمة ، يا محمد إن من أمتك من يؤخر الصلاة ساعة فساعة كلما يريد أن يقوم إلى الصلاة أزمته فأوسوس له وأقول له الوقت باق وأنت في شغل حتى يؤخرها ويصلبها في غير وقتها فيضرب بها في وجهه فإن هو غلبني أرسلت إليه واحدة من شياطين الإنس تشغله عن وقتها فإن غلبني في ذلك تركته حتى إذا كان



في الصلاة قلت له انظر يميننا وشمالا فينظر فعد ذلك أمسح يدي على وجهه وأقبل ما بين هنيهة وأقول له قد أتيت مالا يصلح أبدا ، وأنت تعلم يا محمد أن من أكثر الالتفات في الصلاة يضرب الله بها وجهه فلان غلبني في الصلاة وصلى وحده أمرته بالعجلة فينقرها كما ينقر الدبلك الحبة ويبادر بها فلان غلبني وصلى في الجماعة أجمعته بلجام ثم أرفع رأسه قبل الإمام وأضعه قبل الإمام وأنت تعلم أن من فعل ذلك بطلت صلاته ويمسح الله رأسه رأس حمار يوم القيامة ، فلان غلبني في ذلك أمرته أن يفرقع أصابعه في الصلاة حتى يكون من المسيحين وهو في الصلاة ، فلان غلبني في ذلك نفخت في أنفه حتى يتثائب وهو في الصلاة فإن لم يضع يده على فيه دخل الشيطان في جوفه فيزداد بذلك حرصا في الدنيا وحبالها ويكون سميعا مطيعا لنا ، وأي سعادة لأمتك وأنا أمر المسكين أن يدع الصلاة وأقول له ليست عليك صلاة إنما هي على الذي أنعم الله عليه وأقول للمريض دعها فإنها ليست عليك إنما هي على من أنعم الله عليه بالعافية لأن الله تعالى يقول - ولا على المريض حرج - وإذا فقت صليت ما عليك حتى يموت كافرا إذا مات تاركا للصلاة وهو في مرضه لقي الله تعالى وهو غضبان عليه ، يا محمد وإن كنت كذبت أو زغت فاسأل الله أن يجعلني رمادا ، يا محمد أنفرح بأمتك وأنا أخرج سدس أمتك من الإسلام ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم بالعين من جليستك ؟ قال آكل الربا ، قال فمن صديقك ؟ قال الزاني . قال فمن ضجيعك ؟ قال السكران ، قال فمن ضيفك ؟ قال السارق ، قال فمن رسولك ؟ قال الساحر ، قال فما قرعة عينك ؟ قال الخائف بالطلاق ، قال فمن حبيبك ؟ قال تارك صلاة الجمعة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عين فما يكسر ظهرك ؟ قال صهيل الخيل في سبيل الله قال فما يلذيب جسمك ؟ قال توبة النائب ، قال فما ينضج كبذك قال كثرة الاستغفار لله تعالى بالليل والنهار ، قال فما ينخرى وجهك ؟ قال صدقة السر ، قال فما يطمس عينيك ؟ قال صلاة السحر ، قال فما يجمع رأسك ؟ قال كثرة الصلاة في الجماعة ، قال فمن أسعد الناس عندك ؟ قال تارك الصلاة عامدا ، قال فأى الناس أشقى عندك ؟ قال البخلاء ، فما يشغلك عن عملك ؟ قال مجالس العلماء ، قال فكيف تأكل ؟ قال بشمال وبأصبعي ، قال فأين تستظل أولادك في وقت الحرور والسموم ؟ قال تحت أظفار

الإنسان ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : فكم سألت من ربك حاجة ؟ قال عشرة أشياء ، قال فما هي يا عين ؟ قال سألته أن يشركني في بني آدم في مالهم وولدهم فأشركني فيهم ، وذلك قوله تعالى - وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا حرورا - وكل مال لا يزكي فلاني آكل منه وآكل من كل طعام خالطه الربا والحرام ، وكل مال لا يتعوذ عليه من الشيطان الرجيم ، وكل من لا يتعوذ عند الجماع إذا جامع زوجته فلان الشيطان يجمع معه فيأتي الولد سامعا مطيعا لي ، ومن ركب دابة يسير عليها في هير طلب حلال فلاني رفيقه لقوله تعالى - وأجلب عليهم بهيولك ورجلك - وسألته أن يجعل لي بيتا فكان الحمام ، وسألته أن يجعل لي مسجدا فكان الأسواق ، وسألته أن يجعل لي قرآنا فكان الشعر ، وسألته أن يجعل لي أذانا فكان المزامير ، وسألته أن يجعل لي ضجيعا فكان السكران ، وسألته أن يجعل لي أحوالا فكان القدورية ، وسألته أن يجعل لي إخوانا فقال الذين ينفقون أموالهم في المعصية ثم تلا قوله تعالى - إنه المبذرين كانوا إخوان الشياطين - الآية ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لولا أيتني بتصدق كل قول بآية من كتاب الله تعالى ما صدقتك ، قال يا محمد سألت الله تعالى أن أرى بني آدم وهم لا يروني فأجراني على هروقههم مجرى الدم أجول بنفسي كيف شئت وإن شئت في ساعة واحدة فقال الله تعالى لك ما سألت وأنا أفتخر بذلك إلى يوم القيامة وإن من معي أكثر ممن معك وأكثر ذرية آدم معي إلى يوم القيامة ، وإن لي ولدا قد سميت به عتمة يبول في أذن العبد إذا نام عن صلاة العتمة ولولا ذلك ما وجد الناس نوما حتى يؤدوا الصلاة ، وإن لي ولدا سميت به المتقاضى فإذا عمل العبد طاعة سرا وأراد أن يكتبها لا يزال يتقاضى به بين الناس حتى يخبر بها النامي فيمحو الله تعالى تسعة وتسعين ثوابا من مائة ثواب فيبقى له ثواب واحد لأن له بكل عمل يعمله سرا مائة ثواب ، وإن لي ولدا سميت به كحيل وهو الذي يكحل عيون الناس في مجالس العلماء وعند خطبة الخطيب حتى ينام عند مسمع كلام العلماء فلا يكتب له ثواب أبدا ، وما من امرأة تخرج إلا قعد شيطان عند مؤخرها وشيطان بقعد في حجبها يزيناها للناظرين ويقولان لها أخرجي يدك فتخرج يدها ثم تبرز ظهرها فتعتهك ، ثم قال يا محمد ليس لي من الإضلال شيء إنما أنا مومنون ومزينا



ولو كان الإضلال بيدي ما تركت أحدا على وجه الأرض ممن يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ولا صائما ولا مصليا ، كما أنه ليس لك من الهداية شيء بل أنت رسول ومبلغ ولو كانت الهداية بيدك ما تركت على وجه الأرض كافرا وإنما أنت حجة الله على خلقه وأنا سبب لمن سبقت له الشقاوة ، والسعيد من أسعده الله في بطن أمه والشتى من أشقاه الله تعالى في بطن أمه : فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى - ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك - ثم قرأ قوله تعالى - وكان أمر الله قدرا مقدورا - ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا مرة هل لك أن تتوب وترجع إلى الله تعالى وأنا أضمن لك الجنة ، فقال يا رسول الله قد قضى الأمر وجف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة ، فسبحان من جعلك سيد الأنبياء وخطيب أهل الجنة فيها وخصك واصطفاك ، وجعلني سيد الأشقياء وخطيب أهل النار وأنا شقي مطرود ، وهذا آخر ما أخبرتك عنه وقد صدقت فيه :

والحمد لله رب العالمين أولا وآخرا وظاهرا وباطنا ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين :